

الحس الجمالي في الحضارة

<"xml encoding="UTF-8?">



لا ريب أن الحسّ الجمالي يشكّل جانباً مهماً من جوانب الحضارة ، وهذا الحسّ يتجلّى - أول ما يتجلّى - في الطهر والنقاء والنظافة ، ولكنّه يمتلك بالإضافة إلى ذلك أبعاداً أخرى .

إن في الإسلام تشجيعاً مستمراً ومتواصلاً على الجمال وما يؤدّي إليه ؛ وعلى سبيل المثال فإن من المستحب في الإسلام أن ينظر الإنسان إلى نفسه في المرأة لكي يهتدّم نفسه ، ويضفي مسحة من الجمال عليها ، كما أنّ من المكروه أن يهمل هذا الإنسان شعر رأسه ويتركه دون حلاقة إلا إذا تعهّده بالنظافة المستمرّ ، ومن المستحب أيضاً أن يمشط الإنسان شعر رأسه ولحيته بشكل متواصل ، حتى أنه روي عن أبي بصير عن أبي عبد الله (الإمام جعفر الصادق عليه السلام) ، قال : سألته عن قوله تعالى : ﴿ ... خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ... ﴾ 1 قال : (هو المشط عند كل صلاة فريضة ونافلة) 2 .

الجمال من سمات الحضارة ؟

إن علينا أن نسأل أنفسنا في هذا المجال : ترى لماذا هذا التأكيد المستمر والمتواصل على يكون الإنسان ذا مظهر حسن وجميل ، ولماذا هذه المجموعة الكبيرة من التعاليم الإسلامية حول النظافة والأمر الجمالية . ؟
الجواب على ذلك : لأن تلك التعاليم هي من سمات الحضارة التي هي تكامل في وعي الإنسان ، وفي نفسه . ومن المعلوم أن من الأبعاد الحقيقية لوعي الإنسان هو الحس الجمالي ، فالإنسان المتكامل هو الذي يتحسّس ويتذوّق ، وهو الذي يبحث عن الجمال ويتلذّد به .

وفي هذا المجال يقول تبارك وتعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ 1 . وهذه الآية تعني أن على الإنسان المسلم أن يكون متزيّناً بأفضل الثياب ، وأن يكون في حالة عالية من الطهر والجمال عندما يريد أن يدخل المسجد لأداء الصلاة .

وبالإضافة إلى ذلك ؛ فإن من المستحب في الإسلام التطيّب ، لأن الطيب يمثل جانباً من الحسّ الجمالي لدى الإنسان إلى درجة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في حديثه المعروف : (أحب من دنياكم ثلاثاً ؛ الطيب ، والنساء ، وقرّة عيني الصلاة) 3 . ملخصاً جميع أبعاد الجمال النفسي والروحي في هذه الكلمة القصيرة . من هنا يجب تنمية الحس الجمالي في أنفسنا ، وفي وعينا ، وأن نكون ممن قال عنهم الإمام علي عليه السلام : (

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ جميل يحبُّ الجمال (4 ، وأن نعمَّ الجمال على جميع جوانب حياتنا ؛ فتكون بيوتنا جميلة ، وكذلك الحال بالنسبة إلى مساجدنا ، ووثابنا ، ووجوهنا ، والمدينة التي نعيش فيها . . . وبالتالي يجب أن يكون لدينا الحسَّ الجمالي ، والبحث الدائم عن الجمال ، لأننا عندما نزرع الجمال في كل بقعة من بقاع بيوتنا أو مدينتنا ، فإنَّ قلوبنا - أيضاً - ستكون جميلة ، وحينئذ سنعرف معنى الصدق والوفاء وحبِّ الآخرين ، لأنَّ قلوبنا ستتألق - في هذه الحالة - بالجمال ، فقد تربّت ونمت ، وتكاملت من قبل بالجمال .

جمال الكلمة و التعبير

والجمال قد يتجسّد في جانب آخر غير الطهر والنظافة ، هو جانب الكلمة . فعندما تجد أمامك مجموعة من المفردات ، فحاول أن تبحث عن أفضلها ، وأروعها ، وأكثرها تأثيراً من الناحية الجمالية في الطرف الآخر ، وأن تحتز من اختيار الكلمات النابية الثقيلة على السمع ، بل عليك أن تختار الكلمات الجميلة الحسنة الوقع على الآذان والنفوس ، كما يقول عزّمن قائل : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ... ﴾ 5. أي إنّ على الإنسان أن يبحث دوماً عن الأحسن لا الأفضل ، فحتّى لو كانت هناك كلمتان أحدهما حسنة والأخرى أحسن ، فإنّ علينا أن نختار الثانية على الأولى .

إنّ هذا الإحساس الجمالي ينمّي في ذاتنا روح الجمال ؛ فالكلمة الطيبة والخلق الحسن هما انعكاس لجمال الروح ، وجمال الروح يفرزه الجمال الظاهري . فعندما يكون الإنسان في جو مشبع بالطهارة والنظافة والجمال ، فإن روحه ستكون أيضاً جميلة ، كما إن أخلاقه التي هي انعكاس لروحه التي تكون هي الأخرى ذات أخلاق جذابة وجميلة ، ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (اطلبوا الخير عند حسان الوجوه) 6 . لأن ذوي الوجوه الحسنة هم - عادة - أبناء النعمة والجمال ، وبناء على ذلك ، فإن الخير منهم مأمول ، والشر مأمون .

القرآن آية الجمال الكبرى

وفي الآيات القرآنية هناك الكثير من المفردات والأساليب الجمالية ، التي لا أريد أن أتوسّع فيها كثيراً ، ولكنني اكتفي بالإشارة إلى أن البيان القرآني مبني أساساً على جمال التعبير ، والتصوير إلى درجة أنه يقع في أعلى مستويات الحسن والجمال . وهذه الظاهرة دليل على أننا كجيل قرآني ، وكأناس نتبع القرآن يجب أن نختار في أحاديثنا مثل تلك الكلمات و التعبيرات الرائعة والجذابة التي من شأنها أن تزيد الطرف الآخر بهاءً وإشراقاً ، بل أكاد أن أقول : إن المفترض فينا أن نحاول تعويد ألسنتنا على الطريقة الجميلة في أداء الألفاظ . فإذا كان الواحد منا ذا أدب رفيع ، ومستعملاً للكلمات الجميلة الطيبة ، حارصاً على أن يختارها اختياراً سواء في بيته أو مع الذين يتعامل معهم في المجتمع ، فإنه سرعان ما سيتعود على تلك الأساليب والتعبيرات الجميلة حتى تكون منسجمة مع عاداته وسلوكياته . وكذلك الحال عندما يريد الواحد ممّا أن يؤلف كتاباً ، فإن هذا الكتاب سوف يعكس هو الآخر روحه الجمالية ، والأدب الرفيع الذي يتحلّى به .

أما إذا أراد الإنسان أن يقسّم ويوزع شخصيته ؛ كأن يتكلم فوق المنبر بطريقة ، وحين الكتابة بطريقة أخرى ،

ويتكلم مع أهله بأسلوب ، ومع أصدقائه وزملائه بأسلوب آخر ، فإن كلامه سوف يتحول إلى تكلف وتعسف حتى في التعبير و في كيفية أداء الألفاظ .
وبكلمة ؛ لكي نتمتع بحضارة سامية ، لا بد لنا من أن نتحلى بالحس الجمالي في كل مجالات ؛ الشخصية والاجتماعية 7 .

1. a. b. القرآن الكريم: سورة الأعراف (7)، الآية: 31، الصفحة: 154.
2. بحار الأنوار : 81 / 329 .
3. بحار الأنوار : 73 / 141 .
4. بحار الأنوار : 10 / 92 .
5. القرآن الكريم: سورة الإسراء (17)، الآية: 53، الصفحة: 287.
6. بحار الأنوار : 67 / 9 .
7. كتاب : الحضارة الإسلامية ، آفاق و تطلعات ، الفصل الثاني : في السلوك الحضاري .